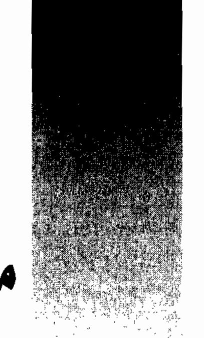


منظور الهمداني للمدينة في اليمن

من خلال كتابه (صفة جزيرة العرب)

دراسة مقارنة

أ.د.محمد السروري

قسم التاريخ، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

المقدمة:

يتناول هذا البحث منظور الهمداني للمدينة في اليمن مقارنة بمنظور الجغرافيين الإسلاميين لها. وقد قسم هذا البحث أربعة محاور هي: المحور الأول: التقسيم الإداري والسياسي لليمن ومنه ثلاثة أقاليم هي الجند وصنعاء وحضرموت والمحور الثاني: منظور الهمداني لمدن اليمن وفيه ثلاث أقسام هي مدن تهامية ومدن نجدية ومدن حضرموت. والمحور الثالث: منظور الهمداني والإسلاميين للمدينة في اليمن، وقد جاء تصنيف الهمداني للمدينة وفقاً لحجمها من حيث الكبر والصغر بالإضافة إلى موقعها الجغرافي، وأهم الأصناف التي ذكرها الهمداني هي المدينة القصبة والكورة والمرسى والمدينة الكبيرة والعظيمة والمحطة التجارية، وهذا التصنيف يوافق تصنيف الجغرافيين والإسلاميين. والمحور الرابع:منظور الهمداني والإسلاميين للمكونات الحضارية للمدينة، وقد ركز الهمداني في هذا الجانب على عناصر سكان المدينة بالإضافة إلى ذكر الجوانب العلمية لبعض المدن المهمة. وبالمقارنة فان وصف الجغرافيين الإسلاميين كان أكثر تفصيلاً لمكونات المدينة الحضارية في اليمن من الهمداني،

فذكروا ما في هذه المدن من زراعة وصناعة ومياه وحمامات ومساجد وأسواق تجارية وسلع وأسوار وسلطة إدارية وهي المتطلبات الأساسية للمدينة، ذلك ما سيتناوله البحث تفصيلاً في الأتي:

التقسيم الإداري والسياسي لليمن

من الأهمية الإشارة إلى التقسيم الإداري والسياسي لليمن قبل وأثناء حياة الهمداني، لأن ذلك يساعدنا في تحديد مواقع مدن اليمن الجغرافي وتبعية هذه المدن الإدارية لأي إقليم في اليمن، كما يساعدنا في معرفة السلطة الحاكمة لهذه المدن وتبعيتها السياسية والإدارية.

على ذلك عند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت اليمن مقسمة إدارياً وسياسياً إلى ثلاثة أقاليم هي:

1. إقليم صنعاء وأعمالها
2. إقليم الجند ومخاليفها
3. إقليم حضرموت وأعمالها[1]

يوضح هذا التقسيم ابن خرداذبة المتوفى سنة (300هـ/912م) بقوله: (وكانت أعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة، فوال على الجند ومخاليفها وهي أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهي أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها وهي أدناها)[2].

ومن الواضح أن الإشارة إلى كبر حجم الإقليم وصغره جاء كما يتضح من كثرة عدد سكان هذا الإقليم وقلة عدد سكان الإقليم الآخر.

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم الإداري والسياسي لليمن يتكون من ثلاثة أقاليم، إلا أن اليمن كانت تشكل وحدة إدارية وسياسية واحدة، كانت مدينة صنعاء هي عاصمة اليمن أو مقر ولاة اليمن الذين كانت الخلافة الإسلامية الراشدة والأمويون والعباسيون يبعثونهم إليها.

وكما يظهر لنا أن التقسيم الإداري والسياسي لليمن لم يستمر كما هو، بل طرأ عليه بعض التغيير، وذلك منذ ظهور الدول المستقلة في اليمن، فقد

(1) ابن المجيد بهجة، الخزرجي، العسجد،15،ابن الديبع،قرة العيون،68-69،الفضل المزيد،37.

(2) ابن خرداذبة، المسالك،123-124.

كانت مدينة زبيد عاصمة للدولة الزيادية ثم النجاحية وهم تابعون للخلافة العباسية ومدينة صعدة عاصمة للدولة الزيدية وهم مستقلون عن الخلافة العباسية ومدينة صنعاء كانت عاصمة لبني يعفر وهم قاوموا الخلافة العباسية ثم أعلنوا الطاعة لها، ومدينتي صنعاء ثم ذي جبلة عاصمة للدولة الصليحية وهم مستقلون عن الخلافة العباسية والزيدية معاً وهم تابعون للخلافة الفاطمية.

وإذا انتقلنا إلى عصر آخر وهو عهد ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ يعيد لنا نفس التقسيم الأول بقوله: "وأعمال اليمن في الإسلام مقسمة على ثلاثة ولاة، فوال على الجند ومخاليفها وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهو أوسطها، ووال على حضرموت وهو أدناها"(3).

وفي هذا التقسيم تقابلنا إشكالية هي هل أن ياقوت أورد هذا التقسيم من باب الاستشهاد أن اليمن كانت مقسمة إلى ثلاثة أقاليم في بداية الإسلام، أم أن التقسيم عاد مرة أخرى إلى اليمن؟

على الرغم من أن المعنى الأول هو الأكثر وضوحاً، إلا أنه كما يبدو أن هذا التقسيم عاد في العصر الأيوبي، فقد كانت الجند ثم تعز عاصمة للأيوبيين ثم الرسوليين، وهذا يعني تحول عاصمة اليمن من صنعاء إلى الجند ثم تعز في زمن الأيوبيين والرسوليين، كما يعني استمرار وجود إقليم الجند للمناطق النجدية الجنوبية لليمن وتهامة ثم إقليم صنعاء للمناطق النجدية الشمالية لليمن وأما إقليم حضرموت فقد ظل تقسيمه الإداري والسياسة موجوداً ومستقلاً لم يطرأ عليه أي تغيير منذ بداية الإسلام، وذلك راجع إلى موقع هذا الإقليم الجغرافي من اليمن.

التقسيم الجغرافي لمدن اليمن عند الهمداني

يستعرض الهمداني المتوفى 360هـ المدن اليمنية بناء على التقسيم الطبيعي الجغرافي لليمن، وهذا التقسيم يتناسب مع الهدف الذي سار عليه الهمداني في وصف جغرافية اليمن والجزيرة العربية، وهو وصف ينحو منحى المنهج الجغرافي الطبيعي لليمن. وقد جاء استعراضه لمدن اليمن على شكل ثلاثة محاور هي:

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 169/1،الاكوع، البلدان عند ياقوت،مجموعة في صفة بلاد اليمن،250.

1. مدن اليمن التهامية.
2. مدن اليمن النجدية وما شابه النجدية.
3. مدن حضرموت[4].

واستعرض المقدسي المتوفى سنة 380هـ التقسيم الإداري والسياسي لليمن، نذكر ثلاثة أقاليم هي:

1. إقليم تهامة قصبته زبيد.
2. إقليم نجد اليمن قصبته صنعاء.
3. إقليم الاحقاف وهو حضرموت[5].

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم يجمع بين التقسيم الجغرافي الطبيعي لليمن والتقسيم الإداري والسياسي لدول اليمن، آلا انه يميل أكثر إلى تقسيم الهمداني، وهو التقسيم الجغرافي الطبيعي لمدن اليمن.

فحين ذكر المقدسي أن مدينة زبيد قصبة تهامة فهذا تقسيم جغرافي إداري سياسي، ولكنه حينما ذكر أن الجند والمذيخرة والسحول ضمن إقليم نجد اليمن فهذا التقسيم جغرافي طبيعي للمناطق الجبلية لليمن وليس تقسيماً إدارياً أو سياسياً. وكما هو معروف أن إقليم الجند كان يندرج ضمن المناطق الجبلية من الناحية الجغرافية، أما من الناحية الإدارية والسياسية فقد كان يندرج تحت إدارة مدينة زبيد عندما كانت زبيد عاصمة الدول المستقلة مثل دولة بني زياد وبني نجاح.

وكما أن زبيد نفسها وتهامة كانت تتبع إقليم الجند عندما كان الجند إقليماً إدارياً سياسياً، وذلك في بداية الإسلام وعصر الولاة وفي عصري الدولة الأيوبية والرسولية.

إضافة إلى ذلك هناك تقسيم آخر أوردته المصادر التاريخية اليمنية تميل إلى تقسيم الهمداني والمقدسي معاً، أي أنها تجمع بين التقسيم الإداري والسياسي والتقسيم الجغرافي الطبيعي، فقالوا: "واليمن يمنان: أعلا وأسفل، فاليمن الأعلى وقصبته صنعاء... وأما اليمن الأسفل فقصبته مدينة زبيد"[6].

---

(4) الهمداني، صفة،94،99،165.

(5) المقدسي، حسن التقاسيم،74.

(6) الخزرجي، العسجد،5-6،ابن الديبع،قرة العيون،33-34-36،الفضل المزيد،34.

والواضح أن هذا التقسيم يتناسب مع ظهور مدينة زبيد كعاصمة لدول اليمن، كما أنه يتناسب مع التقسيم الإداري والسياسي لليمن أكثر مما هو تقسيم جغرافي طبيعي، لأن معنى اليمن الأسفل لا يقصد به زبيد وتهامة وحدها، بل يدخل ضمنها المناطق الجبلية المنخفضة مثل الجند والمذيخرة والسحول.

أما إقليم حضرموت فقد كان إقليماً مستقلاً عن هذين التصنيفين، وهما الجغرافي الطبيعي للمدن التهامية أو النجدية، أو اليمن الأسفل والأعلى، إذا أن هذا التقسيم الجغرافي الطبيعي هو خاص بأقاليم اليمن الغربية، أما أقاليم اليمن الشرقية وهو إقليم حضرموت فقد ظل إقليما مستقلاً سؤ أكان التقسيم لليمن الغربي من الناحية الإدارية والسياسية، أو من الناحية الجغرافية الطبيعية، وبذلك كانت حضرموت محافظة على تقسيمها الإداري والسياسي والجغرافي بأنها إقليم واحد لليمن الشرقي.

منظور الهمداني للمدينة في اليمن

يصنف الهمداني المدينة في اليمن عدة أصناف، يتمثل ذلك بأنه لا يكتفي بذكر مسمى المدينة دون تحديد نوع هذه المدينة ولكنه يضيف تسمية أخرى للمدينة تعطيها معنى جديدا، يحدد منظور أو مقصود الهمداني من هذه التسمية وقد جاءت رؤيته على النحو التالي:

1. المدينة القصبة: وهي المدينة السياسية والإدارية والحضارية للبلاد كلها.
   المدينة الكورة: وهي المدينة الإدارية والحضارية للإقليم أو المخلاف.
2. المدينة العظيمة أو المدينة الكبيرة: أو المدينة دون تحديد كبرها وصغرها وهي المدن الحضارية.
3. المدينة المرسى أو الفرضة: وهي المدينة التجارية التي يتم من خلالها الاستيراد والتصدير بحراً.
4. المدينة المحطة التجارية الواقعة على الطريق التجاري البحري.

هذا التصنيف شيء طبيعي تفرضه طبيعة اليمن الجغرافية، ونشاط سكانها الحضاري، كما أن رؤية الهمداني هذه لمدينة تتفق مع رؤية الجغرافيين الإسلاميين، فهم يذكرون المدينة القصبة أو الفرضة أو المدينة العظيمة، وأيضا تتفق مع المفهوم اللغوي الذي وصف المدينة بأنها "الحضارة واتساع العمران" وأنها

"المصر الجامع"[7]، وما نفهمه من المصر الجامع هو الجانب السياسي والإداري والحضاري، واتساع العمران الجانب الحضاري.

وفيما يلي سنورد أهم المدن اليمنية التي ذكرها الهمداني في عهده مقارنة مع ما ذكره الجغرافيون الإسلاميون عنها بالآتي:

1. المدينة القصبة

يعتبر الهمداني مدينة صنعاء أنها (أم اليمن وقطبها لأنها في الوسط)، كما يعتبرها قصبة بقوله: "أهل الشام يسمونها القصبة"[8]. ولا غروة في ذلك فقد كانت مدينة صنعاء في عهد الهمداني عاصمة اليمن أو مقر ولاة اليمن للخلافة العباسية.

يتفق هذا الرأي مع رأي بعض الجغرافيين الإسلاميين، فاليعقوبي المتوفى سنة 284هـ يتحدث عن مدينة صنعاء بقوله: "صنعاء وهي المدينة العظمى التي ينزلها الولاة وأشراف العرب"[9]. كما يتفق مع رأي ابن خرداذبة المتوفى سنة 300هـ بقوله: "صنعاء مدينة اليمن"[10]. كذلك تساير وصف الأصطخري المتوفى سنة 340هـ لها بقوله: "وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر أهلاً ومرافق من صنعاء"[11]. كذلك قال عنها العزيزي: "مدينة صنعاء مدينة جليلة هي قصبة اليمن"[12]. وعلى ذلك فإن مدينة صنعاء آنذاك كانت أهم مدينة في اليمن.

ونظراً للتحولات السياسية والحضارية لليمن فيما بعد عهد الهمداني فقد تغير وضع مدينة صنعاء الإداري والسياسي، فلم تظل على نفس الاتساع والكبر، كما أنها لم تظل عاصمة لليمن كله، والسبب في ذلك يرجع على ظهور عدة دول مستقلة في اليمن، أنشأت لها مراكز وعواصم أخرى في اليمن مثل صعدة وزبيد وعدن، فأدى ذلك إلى تغيير وضع صنعاء كمدينة عاصمة لليمن كله.

---

(7) المعجم الوسيط،859،المعجم الوجيز،586.
(8) الهمداني، صفة،102.
(9) اليعقوبي، البلدان،80.
(10) ابن خرداذبة، المسالك،118.
(11) الاصطخري، المسالك،24.
(12) أبو الفداء، تقويم البلدان،95.

ذلك ما أوضحه المقدسي المتوفى سنة 380هـ بقوله: "صنعاء: هي قصبة نجد اليمن، وكانت أجل من زبيد وأعمر وكان الاسم لها وأما اليوم فقد اختلت"[13]. هذا الوصف يحدد صنعاء بأنها قصبة نجد اليمن وليس اليمن كله، كما أنه يصفها بأنها قد اختلت عن وصفها السابق وأصبحت زبيد أعمر منها وذلك في ظل وجود دولة بني زياد في تهامة.

كما وصف الإدريسي المتوفى سنة 560هـ صنعاء بقوله: "ومدينة صنعاء كثيرة الخيرات متصلة العمارات وليس في بلاد اليمن أقدم منها عهدا أولا أكبر قطرا ولا أكثر ناسا وهي في صدر الإقليم الأول"[14]. وأهم ما جاء في هذا الوصف أنها قديمة وكبيرة، ولكنه لم يحدد صنعاء كقصبة اليمن أو نجده، وهو تحول فرضته دول اليمن حينما نقل الصليحيون عاصمتهم من صنعاء إلى ذي جبلة، مع بقاء زبيد عاصمة للنجاحيين وصعدة عاصمة للزيدية.

وفي هذا الموضوع وصف أبو الفداء المتوفى سنة 732هـ صنعاء بقوله: "وصنعاء من أعظم مدن اليمن تشبه دمشق... وكانت كرسي ملوك اليمن في القديم"[15]. وعلى ذلك فإن صنعاء في عهد أبي الفداء كانت إحدى مدن اليمن العظيمة، ولم تكن قصبة اليمن كله كما ذكرها الهمداني، وهذا ناتج عن التحولات السياسية لليمن. كما وصف ابن بطوطة المتوفى سنة 779هـ صنعاء بقوله: "صنعاء وهي قاعدة بلاد اليمن الأولى مدينة كبيرة حسنة العمارة"[16]. وكما نعرف أن صنعاء حينما زارها ابن بطوطة كانت تابعة للدولة الرسولية في اليمن، وأن عاصمتهم كانت مدينة تعز ولذلك لم تكن صنعاء عاصمة اليمن رغم كبرها وقدمها.

من خلال ذلك كله نجد أن التحولات السياسية والإدارية لبلاد اليمن فرضت نفسها على عدم إبقاء مدينة صنعاء كقصبة لليمن كما وصفها الهمداني، أو حتى قصبة لنجدها، وهذا دليل على أن الوصف الجغرافي لمدن اليمن نابع من الفترة الزمنية التي عاشها الواصفون لها.

---

(13) المقدسي، حسن التقاسيم،85.

(14) الإدريسي،نزهة المشتاق،53.

(15) أبو الفداء، تقويم البلدان،95.

(16) ابن بطوطة،رحلة،251،مجموعة،في صفة بلاد اليمن،227.

2. المدينة الفرضة أو المرسى

يبدأ الهمداني بوصف مدينة عدن أنها أول المدن التهامية، فيقول عنها: (عدن جنوبية تهامية وهي أقدم أسواق العرب وهي ساحل يحيط به جبل)[17]، اقتصر الهمداني وصف عدن كفرضة لليمن كله.

وفي المقابل كان وصف الجغرافيين الإسلاميين لمدينة عدن أكثر تفصيلاً وهو على النحو التالي:

وصف عدن اليعقوبي المتوفى سنة 284هـ بقوله: "فعدن: وهي ساحل صنعاء، وبها مرفأ مراكب الصين"[18]. وأما ابن خرداذبة فقد ذكر عدن بأنها قرية بقوله: "إلى قرية عدن وهي مخلاف أبين"[19]. وربما يقصد عدن هي أبين نفسها التي تنسب عدن إليها حين يقال "عدن أبين".

كما وصف عدن الأصطخري المتوفى سنة 340هـ بقوله: "وعدن مدينة صغيرة وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر"[20]. وأما ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ فقد ذكر تبعية عدن الإدارية والسياسية والاقتصادية لحكام زبيد وهم بنو زياد بقوله: (ويصل إليه- "يقصد أبي الحبيش بن زياد)- من جباية عدن عن المراكب مما لا يقع بموافقة وضمان ويعمل بالأمانات، فربما زادت المراكب ونقصت. والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التقريب مائتا ألف دينار عثري"[21].

في حين وصف المقدسي المتوفى سنة 380هـ عدن بقوله: "عدن: بلد جليل عامر آهل، حصين خفيف، ودهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المقرب ومعدن التجارات كثير القصور، مبارك على من دخله مثر لمن سكنه"[22]، وذلك يوضح زيادة النشاط التجاري لمدينة عدن في عصر الدولة الزيادية حكام زبيد وعصر دولة بني معن حكام عدن وهم الذين كانوا يعلنون تبعيتهم لحاكم زبيد.

---

(17) الهمداني، صفة،94، مجموعة،في صفة بلاد اليمن،50.

(18) اليعقوبي، البلدان،80

(19) ابن خرداذبة، المسالك،121.

(20) الاصطخري، المسالك،25.

(21) ابن حوقل،صورة الأرض،32.

(22) المقدسي، حسن التقاسيم،84،السروري،الحياة السياسية،559.

كما وصف الإدريسي المتوفى سمة 560هـ عدن بقوله: "ومدينة عدن صغيرة وإنما شهر ذكرها لأنها مرسى البحرين ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين وإليها تجلب متاع الصين"[23]. يدل هذا الوصف على اتساع نشاط عدن التجاري مع عدة بلدان، وذلك يرجع إلى تحول النشاط التجاري إلى مصر عبر عدن، بسبب زيادة نشاط تجار الكارم بعدن في ظل حكم بني زريع لها، وفي ظل الحكم الفاطمي لمصر والذين اهتموا بتحويل النشاط التجاري البحري إلى الهند والصين عبر عدن بدلا عن النشاط التجاري عبر بغداد، نظرا للعداء المستحكم فيما بين الخلافة الفاطمية الشيعية بمصر والخلافة السنية ببغداد.

أستمر زيادة النشاط التجاري لمرسى مدينة عدن في ظل حكم بني رسول لليمن، وخاصة بعد سقوط الخلافة العباسية لليمن سنة 656هـ، وصف ذلك بعض الجغرافيين المسلمين منهم وصف أبي الفداء المتوفى سنة 732هـ بقوله: "ويقال بها عدن أبين وهي على ساحل البحر وهي بلد حط وإقلاع لمراكب الهند وهي بلدة تجارة"[24]. كما وصفها العمري المتوفى سنة 749هـ بقوله: "وباليمن عدن وهي من أعظم المراسي بها"[25]. وأيضاً وصفها ابن بطوطة 779هـ بقوله: "عدن مرسى بلاد اليمن على ساحل البحر الأعظم والجبال تحف بها"[26]. وهكذا ظهر نشاط عدن التجاري أكثر من عهد الهمداني.

3. **المدينة الكورة:**

حدد الهمداني مدن الكورة بثلاث مدن هي زبيد، جبأ، صعدة نوردها بالأتي:

مدينة زبيد:

ينظر الهمداني إلى زبيد بعدة صور أنها قرية في وادي زبيد، وهي نفسها تسمى الحصيب، وأنها كورة وأيضا مدينة.

فمن جهة أنها قرية في وادي زبيد وأنها أيضا تسمى الحصيب يوضح ذلك بقوله: "فزبيد نسبت إلى الوادي وهي الحصيب". كما يقول عن: "الحصيب وهي

(23) الإدريسي،نزهة المشتاق،54، السروري،الحياة السياسية،559

(24) أبو الفداء، تقويم البلدان،93.

(25) العمري،المسالك،155، مجموعة،في صفة بلاد اليمن،209.

(26) ابن بطوطة،رحلة،251،مجموعة،في صفة بلاد اليمن،227

قرية زبيد". "وهي موطن الحصيب بن عبد شمس". كذلك يوصف مدينة زبيد أنها "كورة تهامة"[27]. كما يصف الحصيب أنها إحدى مدن تهامة.

وغالباً ما تأتي الكورة والمخلاف والأستان بمعنى واحد وهي تتشابه مع مصطلح الإقليم، وقد حدد تلك المصطلحات أو التسميات ياقوت الحموي المتوفى سنة 626هـ بقوله: (الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى). "وأما المخلاف فأكثر ما يقع في كلام أهل اليمن... وهو واحد مخاليف اليمن، وهي كورها". كما يقول "وأن الأستان والكورة واحد"[28].

وما هو واضح من خلال كلام الهمداني أن مدينة زبيد آنذاك كان لها تسميتان أحدهما تسمية الحصيب والثانية تسمية زبيد والتسميتان تأخذ معنى القرية والمدينة معا. وعلى ذلك فإن الهمداني يذكر الحصيب بأنه أحد مدن تهامة، وذلك من خلال عرضة لمدن تهامة اليمن، مما يدل على تحول قرية زبيد أو الحصيب إلى مدينة في عهد الهمداني، ولكنها لم تأخذ الشهرة الواسعة كما أخذتها فيما بعد، وفي السياق نفسه يذكر الهمداني لمدينة زبيد عدة قرى فيقول: "وقرى زبيد المعقر والقحمة وقرى ذؤال"[29]. وهذا دليل واضح على ظهور مدينة زبيد كمدينة إدارية وسياسية وحضارية، وأن الكثير من قرى تهامة تتبع مدينة زبيد، ولذلك أطلق على مدينة زبيد كورة تهامة. وعلى الرغم من ميل الهمداني إلى إيراد تسميتين لمدينة زبيد هما الحصيب وزبيد، فإن تسمية الحصيب اختفت وتغلب تسمية زبيد، والسبب في ذلك يرجع إلى شهرة وادي زبيد ووقوع المدينة على إحدى ضفتيه.

ومن ناحية أقوال الجغرافيين الإسلاميين عن مدينة زبيد فقد ذكر ابن حوقل المتوفى سنة 367هـ السلطة السياسية والإدارية لمدينة زبيد وحدد اتساع هذا الإقليم حيث ذكر أهم حكامها آنذاك وهو خلف أبي الحبيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد وأن "الذي تحت يده من الشرجة إلى عدن طولاً على ساحل البحر وأرض تهامة، ويكون مقدار ذلك اثنتي عشرة مرحلة، وعرضة من الجبال إلى ساحل اليمن من عمل غلافقة، ويكون مقداره مسيرة أربعة مراحل"[30]، وهذا الرأي

(27) الهمداني، صفة،232،الشجاع،اليمن،136.

(28) ياقوت الحموي، معجم البلدان،1/36-37.

(29) الهمداني، صفة،232

(30) ابن حوقل،صورة الأرض،31-32.

يوافق رأي الهمداني بأن زبيد كورة تهامة، وهو ناتج عن التحولات السياسية لتلك المنطقة.

أما المقدسي المتوفى 380هـ فيعطينا تصورا أكثر وضوحاً عن مدينة زبيد فيقول عنها: "زبيد قصبة تهامة وهو احد المصرين لأنه مستقر ملوك اليمن"[(31)]. ومن الواضح أن هذا التعريف ينطبق على زمن بروز الدولة الزيادية التي جعلت من مدينة زبيد عاصمة لها وهي التي كانت تمثل الخلافة العباسية في اليمن وهي الفترة التي كانت أقاليم ومدن اليمن أكثر اليمن تابعة لحكام مدينة زبيد وخاصة أثناء حكم أبي الحبيش الزيادي.

وفي المدة التي تلت الدولة الزيادية ثم النجاحية لم تظل مدينة زبيد مستقر ملوك اليمن، وهي مدة حكم الدولة الأيوبية ثم الرسولية لليمن، وهم الذين جعلوا من مدينة الجند ثم مدينة تعز عاصمة لهم، إلا أن مدينة زبيد ظلت محافظة على بقائها كمدينة ثانية لحكام اليمن وكقصبة لتهامة يوضح ذلك كل من أبي الفداء وابن بطوطة.

فقد وصف مدينة زبيد أبو الفداء المتوفى سمة 732هـ بقوله: "وزبيد قصبة التهائم"[(32)]، كما وصفها ابن بطوطة المتوفى سنة 779هـ بقوله: "زبيد مدينة عظيمة باليمن"[(33)]. وهكذا جاء اتساع مدينة زبيد وتحولها في الأزمنة التي تلت الهمداني.

مدينة جبأ: وصف الهمداني مدينة جبأ بأنها "كورة المعافر" وعن سكان جبأ فقد ذكر أنهم من السكاسك، أما ملوك المعافر فقد ذكر أنهم آل الكرندي من سبأ الأصغر وهم ينتمون إلى أولاد الأبيض بن حمال. وبالنسبة لمدينة جبأ فهي تنحدر من رأس جبل صبر وصفه بأنه ماء طيب عذب[(34)].

مدينة صعدة:

يذكر الهمداني أن صعدة كانت في الجاهلية تسمى جماع، ثم أطلق عليها صعدة، ووصفها بقوله: "ومدينة خولان العظمى صعدة". كما وصفها

(31) المقدسي، حسن التقاسيم،84 مجموعة،في صفة بلاد اليمن،155.

(32) أبو الفداء، تقويم البلدان،89.

(33) ابن بطوطة،رحلة،247،مجموعة،في صفة بلاد اليمن،323

(34) الهمداني، صفة،194-195.

بأنها "كورة بلاد خولان"[(35)]. وعلى ذلك فقد وصف الهمداني مدينة صعدة بأنها كورة قبائل خولان وأعظم مدنية لها.

وعن وصف الجغرافيين الإسلاميين لمدينة صعدة، فقد ذكرها الأصطخري بقوله: "وصعدة أكبر وأعمر" من نجران وجرش[(36)]، وابن حوقل ذكر حاكمها بقوله: "الحسني صاحب صعدة"[(37)]. كما ذكر المقدسي سعة صعدة وحاكمها بأنها أصغر من صنعاء وهي عامرة، كما أنها مدنية العلوية وعمالهم[(38)]. أما ابن خرداذبة فقد ذكر صعدة بأنها "مدينة عظيمة"[(39)]. وكذلك الإدريسي وصف صعدة بأنها "مدينة صغيرة ولكنها متحضرة"[(40)]. هذه الأوصاف توضح التحولات الإدارية والسياسية والحضارة التي جرت لمدينة صعدة آنذاك.

المدينة العظيمة

وصف الهمداني عدة مدن بأنها مدن عظيمة وتقع هذه المدن في الجهة الشرقية لليمن وهي حضرموت، ولم يذكر تفاصيل عنها سوى اسمها ومن يسكنها نوردها كما ذكرها بقوله:"حورة مدينة عظيمة لبني حارثة من كندة، و"تريس وهي مدينة عظيمة" "وتريم مدينة عظيمة"، و"عندل مدينة عظيمة للصدف" وذكر الأصطخري عندل بأنها حضرموت. وعلى الرغم من عدم معرفتنا لمنظور الهمداني للمدينة العظيمة إلا أنه يمكن أن نستنتج أنها المدينة التي اتصفت بالقدم والتي يوجد بها صناعة وسوق للتجارة، وتكثر منازلها وسكانها.

المدينة الكبيرة

أهم ما ذكر الهمداني من المدن الكبيرة هي مدينة خنفر في أبين، وذكر سكانها أنهم من الأصبحين، ويختلط معهم قوم من بني مجيد، وقوم من مذحج. كما ذكر الهمداني "الموشح وهي مدينة كبيرة" وتقع في العواذل من منطقة دثينة، ويسكنها بنو كتيف وهم رهط رزام ابن محمد الذي حارب على بن الفضل القرمطي.

---

(35) الهمداني، صفة،115-116-224.

(36)- الاصطخري، المسالك،24.

(37) ابن حوقل،صورة الأرض،33.ل

(38) المقدسي، حسن التقاسيم،86، السروري،الحياة السياسية،557.

(39) ابن خرداذبة، المسالك،118.

(40) الإدريسي،نزهة المشتاق،146، السروري،الحياة السياسية،557.

لم يوضح لنا الهمداني مالفارق بين المدينة العظيمة والمدينة الكبيرة، هل هما بمعنى واحد، أم أن المدينة العظيمة تزيد عن المدينة الكبيرة بالحالة الصناعية والأسواق والمساحة وكثرة السكان والمنازل، أم بما حولها من قرى، وقدمها، أم غير ذلك.

المدينة:

ذكر الهمداني عدة مدن في نجد اليمن وتهامتها وحضرموت، وقد ركز على ذكر سكان هذه المدن دون ذكر تفاصيل عن ما تحويها هذه المدن نوردها حسب ما ذكرها الهمداني بالاتي:

1. **مدن إقليم حضرموت:** في البداية ذكر عدة مدن مجتمعة وهي "خودن، وهدون ودمون مدن للصدف بحضرموت" ثم ذكر مرة أخرى هذه المدن بسكانها بقوله:"ساكن خودن الصدف"، "وساكن دمون بنو الحارث الملك عمرو المقصور بن حجر آكل المرار" كما ذكر عدة مدن أخرى بحضرموت منها "شزن وذو صبح وهما مدينتان بدوعن" و"مدينة دوعن" نفسها وقال عنها: "وأما موضع الأمام الذي يأمر الاباضية وينهى ففي مدينة دوعن" وأيضا الهجران مدينتان متقابلتان في حضرموت؛ بالإضافة إلى ذلك ذكر الهمداني مدينة شبوة وهي مدينة لحمير وقد أشار إلى أنها تقع فيما بين بيحان وحضرموت[41]، وذكر مدينة الحنينة وهي لبنى سويف وهم بني حي بن أود وهي في دثينة. ومن الواضح أن الكثير من هذه المدن قد تحولت إلى قرى أو خربت.ومن الملاحظ أن أغلب مدن حضرموت تقع على الوديان في وسط عدة قرى.
2. **مدن نجد اليمن:** كما ذكر الهمداني عدة مدن في نجد اليمن، اقتصر ذكرها مع عناصر سكانها دون تفاصيل كثيرة عنها نوردها بنصها بالاتي:

- "جيشان مدينة يسكنها من حمير من رعيني ورداعي وصراري وغير ذلك".
- "منكث مدينة السخطيين وهم بقية بيت المملكة من آل الصوار ولهم كرم وشرف متعال"
- "رداع وهي مدينة يسكنها خليط من حمير من الأسوديين ومن خولان وللجارب وعنس"[42]، وقد أشار إلى موقع مدينة رداع أنها

(41) الهمداني، صفة،168-170،177،190.

(42) الهمداني، صفة،100-101.

تقـع في نجـد حمـير كمـا ذكـر مدينـة حـصي في ارض السرو.وتنتشر مدن نجد اليمن في القيعان على الطريق الجبلي التي تسير عليه التجارة والحجاج إلى مكة وجدة.

3. **مدن تهامة**: كذلك ذكر الهمداني عدة مدن في تهامة اقتصر على ذكر سكانها دون إضافات نوردها بالأتي:

- "الكدراء مدينة يسكنها خليط من عك والشعر"
- "المهجم وهي مدينة سردد وأكثر بواديها" وعن سكانها فقد أوضح أن الغالبـة مـنهم ينتمـون إلى قبيلـة عـك، ويتركـز سـكنهم في أعلاها وأسفلها وشمالها كما يخالطهم في السكن قبيلة خولان وقد وصفهم بأنهم أهل البأس فيها.
- "مـور وبـه مدينـة تـسمى بلحـة لعـك" ويوضـح الهمـداني أن وادي "مور أحد مشارب اليمن الكبار"[43]، وكما هو واضح أن هذه المدن تقـع علـى أوديـة تهامـة، كمـا أنهـا تقـع علـى طريـق الجـادة الـسلطانية، وهـي الطريـق التجـاري وطريـق الحـاج الموصـلة مـن عدن وزبيد إلى مكة وجدة.

القرية والمدينة

اتبع الهمداني في وصف القرية نفس النهج الذي سار عليه في ذكر المدن، من حيث ذكر القرية الصغيرة والقرية الكبيرة والقرية العظيمة، ومن حيث ذكر عناصر سكان القرية.

ومن الواضح أن منظور الهمداني للقرية الكبيرة والمدينة متقارب وذلك ما يورده بقوله: "الموشح وهي اكبر قرية بدثينة وهي مدينة لبنى كتيف"[44].

منظور الهمداني للمظاهر الحضارية للمدينة في اليمن ومنظور الجغرافيين الإسلاميين لها

مدينة صنعاء

يوضح الهمداني أهمية مدينة صنعاء وقوعها في وسط اليمن وأنها طيبة الهواء ولذلك أصبحت مركز الجهاز الإداري والسياسي لليمن. وأهم ما يركز

(43) الهمداني، صفة،97.

(44) الهمداني، صفة،189.

عليه من الجوانب الحضارية، الحياة العلمية وأضاف إليها ذكر أعمال الجهاز الإداري يوردها بالأتي:

فمن الناحية العلمية يقول: "ولم يزل بها عالم وفقيه وحكم وزاهد، ومن يحب الله عز وجل المحبة المفرطة ويخشاه الخشية اليقظى" فوصف منهم بعض العلماء والخطباء والشعراء والكتاب بالاتي:

1. **العلماء:** ذكر منهم وهب بن منبه الأبناوي ت 110هـ وهو احد الأبناء وأحد التابعين، معظم أخباره عن تاريخ العرب واليمن القديم بالإضافة إلى انه تحدث عن المغازي. ومنهم المحدث عبد الرزاق بن همام الحميري ت 210هـ كان محدث اليمن ومؤرخها، ومنهم بكر بن عبد الله الشرودي الأبناوي وهوتلميذ عبد الرازق أملى له وروى عنه وعن معمر بن راشد ومنهم هشام بن يوسف الأبناوي ت 197هـ قاضي صنعاء تولى قضائها لوالي الخلافة العباسية على اليمن حماد البربري.
2. **الفلك:** ومن ناحية علم الفلك والنجوم فقد ذكر أسماء عدة علماء عملوا بهذا العلم.
3. **الخطباء:** ومن الخطباء ذكر مطرف بن مازن الكتاني تولى قضاء صنعاء واليمن، و إبراهيم بن محمد بن يعفر وهو أحد رجالات الدولة اليعفرية في اليمن.
4. **الكتاب:** وبالنسبة للكتاب فقد وصف أسلوبهم الكتابي دون أسمائهم فقال: "لهم خط المصاحف الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به ولهم حقائق الشكل ذكرهم ذلك الخليل، ولهم الشروط دون غيرهم، ولا يكون لفقيه من أهل الأمصار شرط الآ ولهم أبلغ منه وأعذب لفظاً وأوقع معنى وأقرب اختصاراً" ويعني المكسر والتحسين نوع الخطوطة الجميلة، والشكل طريقة إعجام الكتاب وإزالة لبسه أما الشروط فهي الألفاظ الجميلة والرشيقة والبلاغية لكتابة الرسائل والوثائق والسجلات.
5. **كتاب الديوان:** وعن كتاب الديوان بصنعاء فقد وصفهم بقولهم: "ولم يزل فيها من كتبة الديوان بلغاء غير مولدي الكلام ولا مستخفى المعاني ومبعدي الاستعارات" ذكر منهم أبي رجاء وبشر والذي قال عنه: "وكان بشر ابن أبي كبار البلوي من أبلغ الناس وكانت بلاغته تتهادى

في البلاد وكان له فيها مأخذ لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه فيه، وتعجب بلاغته ونفاستها وانه فيها أوحد وانه لا يشابه بلاغته البلغاء وانه منفرد بحسن اختلاس القرآن"

أورد الهمداني عشر رسائل من رسائل بشر بهدف الاستدلال بها وهي موجهة لولاة صنعاء للخلافة العباسية آنذاك نذكر الأشخاص الذين أرسلت إليهم هذه الرسائل بالآتي:

1. رسالة كتبها بشر إلى إبراهيم بن عبد الله الحجمي والى صنعاء للخليفة العباسي هارون الرشيد، والذي قدم صنعاء سنة 182هـ وكانت إقامته فيها سنة وأشهر.
2. رسالة كتبها إلى يزيد بن منصور والى اليمن للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور والذي قدم صنعاء أول سنة 154هـ فقعد بها بقية خلافة المنصور وسنة من خلافة المهدي.
3. رسالة كتبها إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي شكوى في والى اليمن عبد الله مصعب والذي تولى اليمن للخليفة العباسي هارون الرشيد.
4. رسالة كتبها أيضا إلى يحي بن خالد بن برمك والى اليمن للخلافة العباسية بشأن الحجبي.
5. رسالة كتبها إلى والي اليمن للخلافة العباسية وهو على بن سليمان والذي كان قدومة إلى اليمن والياً عليها من قبل المهدي العباسي سنة 162هـ فأقام بها سنة ونصف

ومن تلك الرسائل يتضح لنا أن صنعاء كانت عاصمة اليمن وكانت مقر السلطة الحاكمة ولإدارية والسياسية لليمن، وذلك ما يوضح رأي الهمداني أن صنعاء قصبة اليمن أو عاصمتها.

تعامل أهل صنعاء مع الولاة: وصف الهمداني أهل صنعاء بأنهم أحسنوا التعامل مع الحكام ولولاة القادمين إليهم بقوله:"وهم مع ذلك أهل تميز لعارض الأمور وخدمة السلطان بأهبه وتملك" وذلك ما يناسب مع كون مدينة صنعاء مقر ولاة الخلافة العباسية.

الحياة المعيشية: ومن ناحية الحياة المعيشية لمدينة صنعاء فقد وصف أهلها الهمداني بحسن صناعة الأطعمة، وحسن ترتيب المنازل بقوله عنهم بأن لهم "تنعم في المنازل ولهم صنائع في الأطعمة التي لا يلحق بها أطعمة بلد" ذلك كان في عهد الهمداني ولكنه نتيجة اتصال المسلمين بالكثير من الأمم فمن المحتمل حدوث تحولات مستحسنة في الأنواع الأطعمة.

نظام الري: ذكر الهمداني أهم شخصية عملت على إيجاد نظام الري في وادي صنعاء وهو مطرف بن مازن، وقد وصفه بأنه "المخترع للمفارع الغيول"، وهي مجاري المياه أو السواقي الممتدة من منبع الغيل إلى جميع الأراضي الزراعية الواقفة أسفل الغيل. وتتلخص هذه الطريقة بتقسيمه مياه الغيل على الأراضي الوادي بحيث يأخذ كل فرد قسته بحسب مساحة أرضه، وهذه القسمة تعتمد على ترك مياه الغيل تتجمع في بركة عند مصب الغيل حتى تمتلى البركة ثم ترسل لسقي الأراضي الزراعية، فبدأ يسقي الأراضي الواقعة قرب الغيل ثم التي تليها الأول فالأول حتى نهاية الوادي. أما الزمن فقد حسب الوقت الذي تمتلئ البركة في اليوم والليلة وحسبت الأراضي التي تم ريها خلال شهر. وهذه الطريقة أيضا تعتمد على حسب مواسم زيادة مياه الغيل أو قلتها، فقد يتم ري الوادي كله في نصف شهر في حالة الزيادة وقد يتم ريه كلمة خلال شهر، كما تعتمد على وضع مقياس داخل البركة تحدد مقدار الأراضي التي تستحقها خلال الريه الواحدة فقد تستحق ارض ربع البركة وقد يستحق ارض نصف بركة وقد تستحق ارض البركة كله وهكذا

الشعراء: ذكر الهمداني عدة شعراء منهم وضاح اليمن الذي وفد بشعره على الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وكانت نهايته بسبب أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان.

ومنهم من صنعاء الو السمط الفيروزي من الإنباء كان شاعراً مجيداً ولقد وفد على الخليفة المهدي العباسي محمد بن جعفر المنصور كي يمدحه كما مدح البرامكة فسعوا عند المهدي لإعطائه أموالا بصنعاء مكافأة لمدحه أباهم.

ومنهم من صنعاء إبراهيم بن محمد ابن الجدوية الأبناوي الصنعاني وكان مطبوعاً في الشعر وقد مدح أئمة الزيدية منهم الناصر، ورثى أباه الحسين الرسي الأمام الهادي ومن بادية صنعاء عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي الذي

كان مجيداً مفوه [45] .وهكذا جاء وصف الهمداني معظمه في علماء صنعاء وشعرائها وأدبائها.

سكان صنعاء: أشار الهمداني إلى سكان صنعاء منهم الأبناء وهم ممن بقى من الفرس في اليمن، وأشار إلى همدان، وخولان، وحمير، وبني يعفر وبني شهاب ذلك هو وصف الهمداني للمظاهر الحضارية لمدينة صنعاء.

أ. وصف الجغرافيين الإسلاميين للمظاهر الحضارية لصنعاء:

أهم وصف أورده ابن رستة المتوفى سنة 295هـ والذي ذكر فيه أهم المظاهر الحضارية لصنعاء بالاتي:

وصف صنعاء بأنها مدينة كبيرة كثيرة الأهل والخيرات وطيبة الهواء

- **الزراعة:** وصف أهم الزراعة وهي "الحنطة والشعير والأرز" كما ذكر عدد مرات زراعتها في السنة، كما وصف الفواكه فيها فذكر "أنواع التفاح والبرقوق وهو المشمش والفرسك أنواع وهو الخوخ ومن أنواع الأجاص" بالإضافة إلى "قصب سكر وجوز ولوز وفستق ورمان وتين وسفرجل وبطيخ...وأنواع الخضر" كما ذكر "ألوان الرياحين والورد والياسمين والنرجس والسوس ألوان"،
- **الري:** كذلك وصف نظام ري الأراضي بصنعاء فذكر أنها تروي بثلاث طرق هي الإمطار والآبار والعيون.
- **المنازل:** وأيضا وصف منازلها بأنها "مزوقة وأكثرها بالجص والآجر والحجارة والمهندمة".
- **الطعام:** كما وصف طعام أهلها بان"طعامهم البر التقى والعكس وهو شبيه بالحنطة".
- **المياه:** وذكر مياه شربهم فقال:"في كل منزل من منازلهم بئر يستقي منها للشرب".
- **الجامع:** وذكر المسجد الجامع فيها بأنه قريبا من سورها ومن قلعة غمدان وانه مبنى من الحجارة والجص، وانه مسجد كبير.
- **الحاكم:**وكذلك أشار إلى حاكم صنعاء في عهده وهو ابن يعفر.

(45) الهمداني، صفة،103-108،112-113.

- السور: كما أشار إلى وجود سور لصنعاء بني بعد فتنة ابن يعفر.

وأيضا أشار إلى مجرى السيل فيها وهو الذي سمي بالسرار.

- العملة: كذلك وصف العملة بها بقولة:"ومعاملة أهل البلد بالدنانير المطوقة والدراهم السدسية والفلس".

- الصناعة: وذكر ابن رستة الصناعة في صنعاء وأهمها دباغة الجلود، فذكر منازلهم على ضفتي مجرى السيل المسمى السرار.

- التجارة: أما التجارة فقد وصفها بقولة: "من عندهم يجلب الأدم والنعال المشعرة والانطباع والبرود المرتفعة والمصمت والأردية يبلغ الثوب من البرد عندهم خمسمائة دينار". كما ذكر الجزع وأنواع الخرز.

- عادات: كذلك وصف عادات الناس في صنعاء بقولة "ينتشرون في حوائجهم بالنهار ويجتمعون في مجالس الفقهاء وغيرهم بعد العتمة إلى وقت محدد يضرب فيه الكوس"[46].

وبالنسبة للمقدسي فقد وصف صنعاء بأنها قصبة نجدا اليمن وهي جميلة الهواء وتكثر الفواكه فيها، ووصف تجارتها بأنها مفيدة وأسعارها رخيصة[47].

كما وصف ابن بطوطة صنعاء بأنها معتدلة الهواء طيبة المياه، مفروشة وكبيرة وحسنة العمارة، ووصفها بأنها كثيرة الأشجار والفواكه والزروع، ووصف جامعها بأنه من أحسن الجوامع[48].

مدينة الجند:

يصف الهمداني مدينة الجند بأنها أول مدن اليمن النجدية، ووصف مظاهرها الحضارية بالاتي:

- السكان: أوضح الهمداني أن سكان الجند من السكاسك، ووصف السكاسك بأنهم أهل جد ونجدة، وأنهم لم يقبلوا التدين بمذهب علي بن الفضل القرمطي الذي ظهر في اليمن أواخر القرن الثالث الهجري، بل أنهم ساعد في مقاتلته كما وصفهم بأنهم (مازالوا مشاقين للملوك لقاحاً لا يدينون) لهم أي أنهم لا يطيعون حاكما ولا يدفعون لهم إتاوة.

(46) ابن رستة،العلاقة النفيسة،105-109.

(47) المقدسي، حسن التقاسيم،185.

(48) ابن بطوطة،رحلة،251،مجموعة،في صفة بلاد اليمن،127.

- **المنشآت الدينية:** يذكر الهمداني مسجد الجند بأنه من المساجد الشريفة اختطه الصحابي الجليل معاذ بن جبل، ويذكر أهميته عند أهل الجند بأنهم يذهبون إليه للزيارة والمجاورة.
- **الإعمال الإدارية والسياسية:** ويوضح الهمداني عن مدينة الجند بأنها كانت في عهده مركزاً إدارياً وسياسياً تابعاً للخلافة العباسية، تتبعه مناطق كثيرة من تهامة بقولة: "وجميع ما ذكر من قرى تهامة اليمانية فأنها تنسب في دواوين الخلفاء إلى عمل الجند"[(49)].
- **الناحية العلمية:** وأوضح بأن مدينة الجند فيها جمع كبير من العلماء والفقهاء مثل أبي قرة صاحب المسند.
- **سور المدينة:** في عهد سيف الإسلام طغتكين الأيوبي أدار على مدينة الجند سوراً وصفه ابن المجاور بقولة: "سور من الحجر والجص وأعلاه طين ولبن...وركب على السور خمسة أبواب باب المنصور، وباب الحديد بناية الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر وباب الأقطع، وباب السر ينفذ إلى بستان السلطان"[(50)].

وأوضح البكري المتوفى 496هـ عن الجند بقولة: "مدينة الجند كبيرة حصينة كثيرة الخيرات بها جامع بناه معاذ بن جبل رحمة الله"[(51)].

كما أوضح ياقوت الحموي ت 626هـ بأن الجند بها الكثير من أهل العلم منهم "محمد بن عبد الرحمن الجندي، روى عن معمر بن راشد" "وطاووس بن كيسان اليماني مولى بحير بن ريسان توفى بمكة سنة 105هـ روى عن ابن جريج ومالك وخلق كثير"[(52)].

مدينة ذمار:

وصف الهمداني ذمار بأنها قرية كبيرة جامعة[(53)]، في حين أن البكري وصف ذمار بأنها مدينة كبيرة أقل من صنعاء[(54)].

---

(49) الهمداني، صفة،99-101،196.

(50) ابن المجاور ،صفة بلاد اليمن،146.

(51) البكري، المسالك،194/1.

(52) ياقوت الحموي، معجم البلدان،196/2.

(53) الهمداني، صفة،106.

- **السكان:** وعن سكانها فقد ذكر الهمداني أنهم من حمير وفيها قلة من الأبناء.
- **العلماء:** أما العلماء فقد ذكر منهم المحدث الذماري، وهو أبو هشام عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري الأبناوي، سمع عن الإمام الثوري، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري، وقد تولى قضاء ذمار أيام إبراهيم بن جعفر الملقب بالجزار.

مدينة صعدة:

نظراً لوقوع صعدة في نهاية نجد اليمن فهي تقع على خط طريق التجارة والحج الموصلة إلى مكة وجدة، وفي هذا سوف نذكر سكانها ونشاطها الصناعي والتجاري بالاتي:

- **السكان:** يعدد الهمداني العناصر القبلية الساكنة في صعدة بقولة:"ساكنها الاكيليون من آل ربيعة بن سعد الأكبر بن خولان، ويرسم جماع قبائل من الكلاع [من حمير] ومن همدان، ومن سعد بن سعد، ومن باقي بطون خولان وغيرها، وفيها بيت من الأبناء".
- **الصناعة:** يصف الهمداني صعدة بأنها "موضع الدباغ في الجاهلية الجهلاء وذلك أنها في موسط بلاد القرظ وهو يدور عليها في مسافة يومين" وقد حدد مساحة زراعة شجرة القرظ من ناحية الجنوب خيوان، ومن الشمال وادعة، ومن الشرق برط، ومن الغرب معدن القفاعة[55]، ونظراً لوجود الصناعات الجلدية في صعدة فقد كان لحاكمها الحسيني "جباية كثيرة ومستغلات على المدابغ وضرائب على القوافل التجارية"[56]. العابرة صعدة.
- **الحروب:** ومن العوامل المؤثر على الحياة السياسة والاقتصادية لمدينة صعدة انتشار الحروب الكثيرة فيها.

أهم من وصف المظاهر الحضارية لمدينة صعدة هو المقدسي بقولة:"صعدة أصغر من صنعاء، عامرة في الجبال بها يصنع الركاء الجيد والأنطاع الحسنة" ومنها يرتفع أدم جيد، وهي مدينة يحمل إليهم الماء من بعيد وحمامهم وضر[57]،

---

(54) البكري،المسالك،394/1.

(55) الهمداني، صفة،106،116،224،100-101.

(56) ابن حوقل،صورة الأرض،151-152.

(57) المقدسي، حسن التقاسيم،156،158.

وهكذا فقد ذكر المقدسي الجامع والحاكم، الماء والحمامات، والصناعة والتجارة. وهي الصفات الرئيسية للمدينة.

مدينة عدن:

وصف الهمداني مدينة عدن أنها ضمن المدن الجنوبية التهامية، وأنها "ساحل يحيط به جبل" وطريقها إلى البر عبر باب قطع بالجبل.

- **المياه:** وذكر موردين لمياه عدن أحدهما وهو الأهم وهو ما يجلب من خارجها، والثاني وجود آبار في مدينة عدن نفسها ولكنه يميل إلى الملوحة.
- **السكان:** أما عن عناصر سكان عدن فقد كانوا آنذاك المرابون من ولد هارون الرشيد، والحماحميون من ولد حماحم ذي عثكلان من ذي جدن من حمير، والملاحيون ينتسبون إلى قرية ملاح العرش في رداع.
- **العلماء:** وعن الناحية العلمية ذكر منهم الشاعر ابن مناذر وهو محمد بن مناذر العدني ثم البصري، كان مولده بعدن ثم أرتحل إلى البصرة، وكان شاعراً مجيداً، والمحدث ابن أبي عمر وهو محمد بن يحي بن أبي عمر العدني، كان قاضياً لعدن وهو شيخ مسلم وابن عيسى الترمذي.
- **الأسواق:** أما الأسواق فقد ذكر عدن بأنها "أقدم أسواق العرب"[(58)].

مظاهر الحضارة لمدينة عدن عند الجغرافيين الإسلاميين:

يصف الاصطخري مدينة عدن بأنها صغيرة ولكنها مشهورة بكونها فرضة اليمن[(59)].

المقدسي: وفي عهد المقدسي ازدادت أهمية عدن، فوصفها بالاتي:

- **التجارة:** قال عنها: "عدن...دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات...مبارك على من دخله مثر لمن سكنه"
- **السكان:** وعن السكان قال: "بلد جليل عامر أهل...كثير القصور" كما وصفهم بأن لهم "أخلاق طاهرة ونعم طاهرة".

(58) الهمداني، صفة،94،+هامش.

(59) الاصطخري، المسالك،25.

- **الأسواق**: وذكر بأن النبي صلى الله عليه وسلم بارك في "سوق منى وعدن وهو شبة صيرة". **السور**: وذكر سور مدينة عدن بأنهم مدوا حائطاً من الجبل فيه خمسة أبواب.
- **الجامع**: كما ذكر جامع عدن بأنه ناء عن الأسواق.
- **الآبار**: وصف آبار عدن بأنها مالحة، ولكنهم يجلبون إليها الماء من على مرحلة، كما يجلبون لها الماء من لحج.
- **الحمامات**: كما أشار إلى وجود حمامات في عدن.
- **الزراعة**: وعن الزراعة في عدن فقد وصفها بأنها "يابسة لا زرع ولا ضرع ولا شجر ولا ثمر ولا ماء ولا كلأ". ولكن "فواكهم وحضرهم وبرهم تجلب من ناحية أبين لكثرة قراها والمزارع بها)[60].

الإدريسي: أما الإدريسي فقد أوضح أنها "مدينة صغيرة وشهرتها أنها مرسى البحرين ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين واليها تجلب متاع الصين".

- **التجارة والسلع**: ووصف عدن بأنها "بلد تجارة" كما ذكر السلع التي تجلب إليها من الصين مثل "الحديد والمسك والعود والسروج والغضارة والفلفل"[61]،وغيرها.

ابن المجاور: ومن وجهة ابن المجاور فقد تحدث عن عدن بالاتي:

- **الجامع**: أشار إلى أن باني الجامع عمر بن عبد العزيز وجدده الحسين بن سلامة في عهد الدولة الزيادية.
- **الحاكم**: كما أشار إلى أهم حكام عدن وهم بنو زريع ونبو أيوب.
- **السور**: أوضح أن والي عدن للأيوبيين وهو عثمان الزنجيلي بنى سور عدن على الساحل من الصناعة إلي جبل حقات، وركب عليه ستة أبواب هي باب الصناعة، باب حومة، باب السكة،باب الفرضة، باب مشرف،باب حيف، بالإضافة إلى باب البر.
- **الأسواق**: كما أوضح أن عثمان الزنجيلي بنى فيها قيصارية العتيقة والأسواق والدكاكين وأيضا بنى المعز الأيوبي دكاكين للعطارين قيصارية جديد.

(60) المقدسي، حسن التقاسيم،84-85،الشجاع،اليمن،124.

(61) الإدريسي،نزهة المشتاق،54

- الآبار: وكذلك عدد الآبار التي حفرت في عدن وهي بئر زعفران وبئر احمد وبئر الجماجم وبئر الصناعة، وبئر سوق الخزف، بالإضافة إلى بناء صهاريج عدن لخزن مياه الأمطار.
- السكان: ونتيجة لأن عدن كانت مدينة تجارية فقد سكنها التجار من عدة أماكن من العجم والفرس ومقادشة وزيلع "جزيرة" ومن العرب من الإسكندرية ومصر ومن اليمن حضارمة وجبالية ومن ذبحان.
- المراكب التجارية: وأوضح ابن المجاور أنه "كان يرسي في كل عام تحت جبل صيرة سبعين ثمانين مركباً"
- الأموال: أما الأموال فقد "كان يرفع من عدن في كل عام أربع خزائن إلى حصن تعز...كل خزانة مائة وخمسون ألف دينار"[62].

مدينة زبيد:

يصف الهمداني الحصيب بأنها قرية زبيد وهي التي أصبحت تسمى مدينة زبيد وهي كورة تهامة.

- السكان: ويعدد عناصر السكان فيها وأغلبها (للأشعريين، ويخالطهم في بعض أجزائها بنو وأقد من ثقيف) أما حكامها فيحددهم بقولة: "الشراحيون وهم الرأس من الجميع"[63]، وبذلك اقتصر وصف الهمداني على السكان والحكام في زبيد دون ذكر أي مظهر حضاري بهذه المدينة.

ومن جهة وصف الجغرافيين الإسلاميين لمظاهر الحضارة بزبيد فهي الأتي:

- الحكام: حدد ابن حوقل السلطة الحاكمة في زبيد وامتداد نفوذهم بقولة: "فمن جلتهم خلف أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد ... والذي تحت يديه من الشرجة إلى عدن طولا على ساحل البحر وأرض تهامة، ويكون مقدار ذلك أثنى عشرة مرحلة، وعرضه من الجبال إلى ساحل اليمن من عمل غلافقة، ويكون مقداره مسيره أربع مراحل"[64].
- التبعية الإدارية والسياسية: كما ذكر ابن حوقل التبعية السياسية والإدارية لبنى زيادة حكام زبيد بقولة: "وأكثر ملوك الجبال في وقتنا هذا

---

(62) ابن المجاور ،صفة بلاد اليمن،128،130-134،144-145. -

(63) الهمداني، صفة،96،132،الشجاع، اليمن،141.

(64) ابن حوقل،صورة الأرض،31-32، الشجاع، اليمن،142.

يخطبون له على منابرهم". والسبب في ذلك يرجع إلى أنهم كانوا يمثلون الخلافة العباسية في اليمن.

- **الأموال**: ويصف ابن حوقل الأموال التي يتحصلها بنو زياد بأنها "من العشور ونقدر بخمسمائة ألف دينار عثري" ومن قبالات زبيد ما يدخل ويخرج منها "مائتا ألف دينار عثري" ومن "جباية عدن عن المراكب العشرية...مائتا ألف دينار عثري" وهي ما تعبر عن التبعية الإدارية والسياسية لبني زياد.

ووصف **البكري** زبيد بأنها كثيرة السكان والخيرات "واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه"[65].

وعن وصف **المقدسي** للمظاهر الحضارية لمدينة زبيد فهي الأتي:

- **المدينة**: وصف المدينة بأنها قصبة تهامة وأنها أحد المصرين ومقر حكام اليمن، وأيضا وصفها بأنها: "بلد جليل حسن النبيان يسمونه بغداد اليمن"، وأنها "بلد نفيس ليس باليمن مثله" كما وصف المنازل والعمارة فيها بقولة: "أكثر بنيانهم الآجر ومنازلهم فسيحة طيبة".
- **التجارة**: كما وصفها بأنها: "بلد تجارة مفيدة لمن دخلها ومباركة عن سكنها.
- **الأسواق والأسعار**: وكذلك وصف الأسواق بأنها ضيقة وان الأسعار فيها غالية.
- **الجامع**: وذكر الجامع فيها بأنه ناء أو بعيد عن الأسواق يتميز بالنظافة.
- **العلماء**: كما ذكر أن بها وجهاء كبار وعلماء وأُدباء.
- **المياه**: وعن المياه فقد ذكر أنه "أجرى إليها ابن زياد قناة" من المياه التي كانت تجري بواد زبيد، كما ذكر أن "أبارهم حلوة".
- **الحمامات**: ووصف حماماتهم بأنها نظيفة.
- **السور**: ووصف سور المدينة وأبوابها بقولة: "عليه حصن من الطين بأربعة أبواب، باب غلافقة، وباب عدن، وباب سهام، وباب شبارق".
- **الطعام**: كما وصف الثمار والطعام بقولة: "والثمار قليلة وطعامهم الدخن والذرة"[66].

(65) البكري، المسالك، 364/1.

وهكـذا نجـد أن وصـف المقدسـي يتفـق كـثيراً مـع منظـور الإسـلاميين للمدينـة الإسلامية.

الخاتمة:

ومـا نـستنتجه ممـا سبق أن المدينـة في الـيمن انتشرت في أنحـاء كـثيرة مـن أقـاليم الـيمن. وقـد جـاء تركـز المـدن في المنـاطق المتوسطة للأقـاليم أو المخـاليف، كمـا تركـزت علـى منـاطق الطـرق التجاريـة وطـرق الحـاج الموصـلة مـن أطـراف الـيمن الجنوبيـة إلى مكـة وجـدة. بالإضـافة إلى أنهـا تركـزت في المنـاطق الوديـان كما هو الحـال في تهامـة مثـل وادي زبيـد وسـردد ومـور، وأيـضاً تركـزت في منـاطق التجمعـات الـسكانية للوديـان في منـاطق حـضرموت، فـضلاً عـن أنهـا تـركـزت في قيعـان المنـاطق الجبليـة مثـل الجنـد وذمـار وصـنعاء وصـعدة وهكـذا شمـل وصـف الهمداني للمدن أغلب المناطق اليمن.

(66)المقدسي، حسن التقاسيم،84،الشجاع،اليمن،124.

المصادر والمراجع

1- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت (779 هـ): رحلة ابن بطوطة، دار صادر،

2- ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط، 1979م .

3- ابن خرداذبة، أبو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت(300 هـ) المسالك والممالك، دار إحياء التراث العربـي، بيروت، ط1، 1988 م.

4- ابن الديبع عبد الرحمن بن على،قرة العيون بأخبار اليمن الميمون،تحقيق محمد الأكوع، المطبعة السلفية،القاهرة1374هـ، الفضل المزيد،على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد،تحقيق يوسف شلحد،دار العودة، بيروت،1983م

5- ابن رستة، أبو على احمد بن عمر ت(630 هـ): الاعلاق النفسية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

6- ابن عبد المجيد عبد الباقي ت 743هـ،بهجة الزمان في تاريخ اليمن،تحقيق عبد الله الحبشي،محمد السنباني،دار الفكر المعاصر،بيروت،ط1،1408هـ/1988م

7- ابن المجاور: محمد بن مسعود بن على ت(630 هـ) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، تحقيق: أو سكر لوفغرين، دار التنوير، بيروت، ط2، 1986 م.

8- أبو عبيد البكري، المسالك و الممالك، تحقيق أدربان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربي للكتاب، بيت الحكمة، تونس، ط، 1992م.

9- أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، طبع باريس، بدار الطباعة السلطانية، 1840م .

10- الخزرجي، أبو الحسن على بن الحسن ت812 هـ، العسجد المسبوك فيمن والي اليمن من الملوك،دار الفكر،دمشق ط2 مصورة141 هـ/1981م

11- الإدريسي: محمد بن محمد إدريس.ت (560 هـ): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1 1989م.

12-إسماعيل الأكوع: البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، نشر مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م.

13-الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ت(340 هـ): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، 1937 م

14- العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ت(749 هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د،..

15- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد أبي بكر ت(380 هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث، العربي، بيروت، ط1، 1987.

16- الهمداني: الحسن بن احمد بن يعقوب ت(334هـ): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الاكوع، نشر مركز الدراسات اليمني، طبع بيروت ط3، 1983.

17- ياقوت بن عبد الله الحموي ت(626 هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1984 م، ص165.

18- اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب، ت(284)، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م.

19- حسين العمري في صفة بلاد اليمن عبر العصور،دار الفكر المعاصر، بيروت،1410هـ،1990م.

20- محمد السروري: الحياة السياسة ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من سنة 429 هـ/ 626 هـ، دار الأهرام، القاهرة،ط1، 1997م.

21- الشجاع عبد الرحمن عبد الواحد، اليمن، في عيون الرحالة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1،1413هـ/1993م.